أحسن الفوائد

* أحسن الفوائد ما جاء من نتائج الأفكار، ولأن النصوص موجودة محفوظة.
* بعض المصائب تقويم للنفس ورد لها عن الغي وحجب لها عن الردى، فسبحان من قوم عباده بشيء من التأديب.
* يذهب نور العلم بالمعاصي، ومخالطة أهل الدنيا والانغماس في الملذات، والتقصير في النوافل، فيصبح العلم عياذا بالله في اللسان فقط، فلا نور ولا هيبة ولا وقار ولا سكينة.
* الغرم بالغنم.
* الخراج بالضمان.
* النعمة تقيد بالشكر.
* إذا ذكر العبد تقصيره سكت عن وعظ الناس، وإذا ذكر أمانة العلم تكلم، والتكلم بالخير أنفع مع لوم النفس على التقصير.
* إذا جاءك الشيطان وأنت تنصح وتعظ وقال: هذا رياء، فلا تطعه، وانفع وأفد وانصح.
* المبارك أينما كان هو الذي يدعو إلى الله بحاله ومقاله في كل وقت.
* أعط المسألة حجمها في الحديث والاهتمام، ولا تتجاوز الحد، فإن القرآن أعطى كل مسألة مساحتها من الكلام.
* الرؤى المحتملة تعبيرها بما يصلح حال الرائي ويحثه على الخير.
* كرر النظر فيما تكتب مع الحذف والزيادة والتهذيب والتأنق.

obeikandl.com

* اطلب ولا تضجر من مطلب.
* طوبى لمن كان مقصوراً لحاجات الناس.
* الكلام اللين والوجه المنبسط موهبة ربانية للمؤمن.
* تراجم الصحابة عمل، وتراجم من بعدهم كلام، يقال في الصحابي: حضر المشاهد كلها، وجرح يوم كذا، وهاجر الهجرتين، وحضر بيعة العقبة، وانفق أمواله في سبيل الله، هكذا.
* اضرب في كل غنيمة بسهم من العبادة، وأكثر من العبادة التي تسهل عليك.
* كل أحد ترضيه إلا الحاسد، فإن إرضاءه زوال نعمتك.
* حق القرآن تلاوته وتجويده وحفظه والعمل به والتشافي به، والتحاكم إليه ورد الأمور إليه.

فائـــدة

من أنفع شروح الحديث كتاب (التمهيد) لابن عبد البر، ففيه من الأصالة والاعتناء بأقوال المتقدمين وحسن السبك، وقوة الترجيح ما يفوق الوصف، وهو عندي من أعظم الشروح إن لم يكن أعظمها.

الترشيد العلمي

عرفت أستاذاً طاعناً في السن، مدرساً في الثانوية يقرأ قراءة قلّ من قرأها ويطالع مطالعة ندر أن يطالعها أحد، فهو يلتهم كل ما يقع على بصره من كتب في مختلف الفنون وقد جمع مكتبة هائلة وجلّ وقته

للقراءة ولكنه مبعثر المعلومات لا تخرج من كلامه بقضية مدرسية مترابطة أو نظرية راشدة واعية أو استنباط رشيد ولم يؤلف ولو مذكرة ولم يلق ولو خطبة وإنما يحفظ كلمة من كتاب وبيت شعر من كتاب آخر وقصة من تاريخ وحكاية من قصاص، والحق أن المقصود من المطالعة ثمرتها وفائدتها ونفعها وأثرها وهو ما عاد على صاحبها بالنفع في قوله وعمله وما عاد على أمته بالفائدة من نصيحة أو درس أو كتاب وليس لهذا الإغراق في المطالعة والإدمان في القراءة فائدة ظاهرة ونفع متعدٍ فهو نوع من التسلية التي يمارسها الناس كتسليتهم بسباق الخيل ومشاهدة المباراة:

إذا لـــم يفـــدك العلـــم خيـــرا فخيـــرا منـــه أن لـــو قـــد جهلتـــا
وإن ألقـــاك فهمـــك فـــي مغـــاوٍ فليتـــك ثـــم ليتـــك مـــا فهمتـــا

فقه الإجابة

الرسول ﷺ أحكم الناس إجابة، كان إذا سأله سائل نظر في حاله ثم أجاب على حسب هذه الحال، سأله أبو ذر رضي الله عنه أن يوصيه وأبو ذر غضوب فقال له: «لا تغضب» ثلاثا، وأوصى عبد الرحمن بن سمرة وكان مرشحاً للإمارة فقال: «لا تسأل الإمارة»، وسأله شيخ كبير عن باب يتمسك به فقال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»، لأن الذكر أفضل عمل وأسهله لهذا الشيخ، وسأله غيلان الثقفي وكان قوي البنية: ما أفضل عمل يوصيه به فقال: «عليك بالجهاد في سبيل الله». وعلى ذلك قس فالحكيم ينزل الناس منازلهم ويوصيهم بما يناسبهم وتصور حال السائل يعين على صواب الإجابة. وحبذا التدرج في تعليم الناس والرفق

بهم واحتساب الأجر في تعليمهم فإن الكلمة الطيبة صدقة ورب كلمة إرشاد ونصح قالها قائل ولم يلق لها بالا كتب الله بها من النفع والتأثير ما لا يجده وصف ولذلك عظم قدر العلماء المعلمين حتى صار يستغفر لهم الحوت في البحر، والنملة في جحرها، وصار الفقيه الواحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وفضل العلم أفضل من فضل العبادة، وهنيئاً لمن أنفق من علمه وجاد بما آتاه الله من فضله والله ذو الفضل العظيم.

جنة الدنيا وعقول العلماء

الكتب جنة الدنيا، تجمع لك عقول العلماء والكتاب والشعراء والمؤرخين بل تختصر لك الزمان والمكان.

ثلاث صفات ذميمة

ثلاث صفات ذميمة هي أخطر ما يفتك بالإيمان، الكِبْر والرياء والحسد. فالكِبْر داء المترفين، والرياء داء العبَّاد، والحسد داء العلماء.

العُجْمَةُ العلمية

عرفت طلبة علم غاصوا في أصول الفقه إلى آذانهم فغرقوا في مصطلحاته وحواشيه وردوده حتى أثر على لغتهم العلمية فأصبح عندهم وسوسة عند الكلام يتحرزون من إطلاق بعض العبارات ويحتاطون عند المصطلحات ويحذرون من الاسترسال في الحديث فأصبح في ألسنتهم حبسة وفي كلامهم عجمة وما ذاك إلا لكثرة تعاملهم مع الحواشي وكلام

أهل الأصول خاصة منهم علماء الكلام لأن علم الكلام والمنطق ومصطلحات المعتزلة غلب على أصول الفقه، وإلا فالشريعة سهلة ميسرة وأسلوب القرآن والسنة مشرق بهيج أخَّاذ، وانظر إلى من عايش القرآن والحديث وكلام السلف كالأئمة الأربعة وابن تيمية وابن القيم وعلماء الحديث ما أحسن كلامهم وأبينه وأبلغه ينساب كالشهد ويسيل كالماء الزلال ويهب كالنسيم، فيا إخواننا في الله ما هذه العجمة العلمية عند النطق، وما هذا الاحتراز عند الحديث وعلماء الإسلام كان الواحد منهم إذا تحدث خلب الألباب وأدهش العقول وأسر النفوس فلماذا ذهبنا نقتات ثقافة الآمدي وعبد الجبار المعتزلي والبزدوي الحنفي؟ أصبحنا نلوك الكلام كأننا أعاجم وهل هذه الشقشقة الأصولية لها أصل عند علماء السلف؟ ولك أن تطالع مقالات ابن تيمية وهو يغير على هذه المصطلحات ويحذر من تصعيب العبارات وتعسير المعرفة ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾، قد جلست إلى علماء الحديث فكان الواحد منهم يتكلم بيسر وسهولة وإطلاق وإشراق أما بعضهم فإذا تحدث علاه العرق ثم تنحنح ثم استدرك ثم توقف ثم سعل ثم عبس وبسر حتى قلنا: ليته سكت.

بركة العلم

من طلب العلم لله تزود كل يوم علماً، وفرح بالفائدة، وذاكر بعلمه، وأحب الكتب والعلماء، وظهرت بركة العلم عليه، وشغل نفسه بالتحصيل ليلاً ونهاراً.

العين حق

عليك أن تتحفظ من العين فإنها حق وهي تصيب من ظهرت عليه النعم فلا تظهر ما عندك واكتم أمرك فإن لكل نعمة حاسداً وإنما قال يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾. خوفا عليه من حسدهم وكذلك قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾. مقصوده حمايتهم من العين فإن العين كالرصاصة بل أسرع، وكثير من الناس إذا أعجبهم شيء أصابوه بالعين، فأخذ الحذر منهم وارد والعبد يكون وسطاً بين إظهار النعم وكتمها وجحدها. ومن الناس من يتصافح في المجالس ويذكر كثرة محفوظاته وعلومه ويحاول أن يبرز مواهبه وهذا خطأ فإن العين له بالمرصاد وكذلك من يذكر أمواله وأملاكه بتبجح، ومن عرف طمع النفوس وجشعها احتاط لنفسه وتدرع بالكتمان ما أمكن والله الحافظ وأخذ السبب واجب والتفريط عاقبته الندم. وخذوا حذركم واعقلها وتوكل.

هموم العائلة

من تأمل كثرة الأولاد ومطالبهم ومشاغلهم اهتم لذلك وحزن فكل ولد بهمه وكسبه وتعليمه وتربيته وعلاجه وهذا يشتت القلب ويتعب الجسم ولكن من نظر إلى أجر القيام بالعائلة هان عليه التعب من طلب الرزق لهم، والكد على الأهل أفضل من نافلة العبادة والولد الصالح بعد موت أبيه عمل جاري لوالده وإذا مات الولد في حياة والداه شفع لأبويه حتى أن بعض الصالحين قال: أفضل أيامي إذا بكى أطفالي

يطلبون مني خيراً، والبنات حجاب من النار وهم زينة الحياة الدنيا ولو كان الإنسان عقيماً ما تلذذ بعيش، ورب طفل كان سبب بركة الرزق على أهله ورب ولد صار له مستقبل في العبادة والزهد والدعوة. فلا تتبرم بالأطفال واصبر على تعبهم ثم إن الأولاد سلوة ومتعة لا يعادلها متعة المال، والحياة كلها كبد ونكد فلابد من الصبر عليها والله المستعان.

إذا كمل العقل نقص الكلام

الصمت وقلة الكلام من الأدلة على تمام العقل وبالمقابل فكثرة الكلام خاصة فيما لا يعني شاهد على نقص العقل وأنت تجد النساء والأطفال والحمقى من أكثر الناس كلاماً لأن صاحب الروية والعقل يعد الكلام عليه لا له ثم إنه يتثاقل ما يقول فيندر كلامه بينما الجاهل خفيف اللسان، الكلمة على طرف شفته فهو سريع الجواب سريع الحركة سريع الانفعال، وعلى العبد أن يعود نفسه محاسبة لسانه وحبسها طويلاً والتفكر فيما يقول ويتدبر العواقب فرب كلمة أوجبت ذنباً وقطعت رأساً وأشعلت حرباً وهتكت ستراً، اللهم سلم سلم، فيا أيها العاقل الفطن أدرك لسانك وخذ بزمامه وقيده فإنه أسد هصور وجمل هائج غشوم، وعد ألفاظك وأحص جملك فإن ما تقوله يكتب وما تتلفظ به يحسب ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

البقاء للأفضل

أين دولة أمية في الأندلس؟ أين الداخل والناصر، أين ابن زيدون ولسان الدين الخطيب؟ أين الزهراء وقرطبة وغرناطة وأشبيلية؟ ذهب

الكل وبقي ابن عبد البر وابن حزم بقي العلم وذهبت الدنيا بقي التراث النافع المفيد وفنيت القصور والدور، ابن عبد البر وابن حزم الظاهري معنا دائماً في بيوتنا في مدارسنا في جامعاتنا في مساجدنا في كتبنا، أما ملوك الأندلس وقصور الأندلس وحدائق الأندلس وأموال الأندلس فقد ذهبت واندثرت وفنيت وهذه من أعظم العظات على سمو العلم وجلالته وعظمته وخلوده. فهل من طالب علم؟.

الخلطة الضارة

نصحت نفسي ونصحتك من خلطة ضارة وهي التي يضيع فيها العمر ويشتت فيها القلب فغالب الناس مشغولون بدنياهم ومنهم الحاسد للنعمة والشامت بالمصيبة، وفيهم ثقيل الظل بارد الروح، ومنهم من لا يرتاح حتى يغتاب، وآخرون في غفلة من أمرهم لا يريدون علماً ولا يهمهم عبادة، فمن ساير الناس ووافقهم وأكثر من مجالستهم ماتت همته وانطفت جذوته وتبلدت أحاسيسه، وما بقي أسلم للعبد من بيته يكف فيه سمعه وبصره ويسلم الناس من أذاه ويجمع حسناته ويستغفر من سيئاته ولا يغرنك الذين يقولون: العزلة من صفات الصوفية. فإن هؤلاء ما أوصلهم إلى الحضيض وأنزلهم إلى هذا الدرك إلا خلطتهم الضارة وعدم معرفة شرف الزمان وقيمة الوقت ونفاسة العمر.

أبو الطيب المتنبىء

عجبت من هذا الشاعر في قوة أخذه وجزالة ألفاظه وإشراق

معانيه، وليس شعره كثير كغيره من الشعراء فديوانه قرابة خمسة آلاف بيت ولكنها شرقت وغربت، وأجود شيء عند المتنبىء الحكمة ويمكن أن يجتمع له خمسمائة بيت كلها سائرة شاردة، ولكن الرجل في نفسه مسكين يلهث وراء الشهرة والمنصب والمال فليس له حظ من الطاعة ولا نصيب من العبادة، وهذا يدلك على أن الإنسان قد يقول الحكمة ولا يعمل بها، فإن الشيطان نصح أبا هريرة بقراءة آية الكرسي كل ليلة فقال له ﷺ: «صدقك وهو كذوب»، ونعود للمتنبىء فقد أوتي الرجل حظوة شعرية منقطعة النظير وصار حديث الركب وقصة السمر وكاد أن ينسي غيره من الشعراء فهو في الشعراء كابن تيمية في العلماء، وأحسن من شرح ديوانه الواحديُّ ولن تجد شرحاً كشرحه.

اتركوا الغرائب أيها الوعاظ

بعض الوعاظ يريد اصطياد قلوب الناس بغرائب القصص وعجائب الحكايات وكثير منها لا يصدقها العقل ولا يؤيدها النقل ولماذا هذا الإغراب على الناس؟ أليس في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وكلام سلف الأمة ما يكفي في باب الوعظ؟! ولماذا يعرض الواعظ نفسه لتهمة الكذب بإيراده شواذ الأخبار من كرامات معاصرة ما سمع الناس بها ومن حوادث مذهلة ما شهد بصحتها أحد ومن مغامرات ومجازفات تحير الإنسان؟ فالصدق الصدق! وحدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون وخاطبوا الناس على قدر عقولهم والسلام.

البداية والنهاية

من أحسن كتب التأريخ كتاب البداية والنهاية لابن كثير لأن صاحبه عالم محدث ثقة ثم إن فيه من كل زوج بهيج من سير العلماء والأدباء والخلفاء والملوك وأخبار الدول ويورد من كلام الزهاد ما يرقق القلب وفيه أشعار مليحة وطرائف بديعة. ومؤلفه صاحب غيرة دينية حتى أنني رأيت غالب العلماء يقرؤون هذا التأريخ بنهم ويستحضرون أخباره ومن قرأه بتدبر ثمر له معرفة بأحوال الأمم والدول واعتبر بمن مضى واتعظ بتجارب السابقين واستفاد عقلاً إلى عقله وتيقن تفاهة الدنيا وسرعة زوالها وجفاءها وقلة صفائها وأن الآخرة هي المقر وأن الجنة هي المقصد الأسمى، وأن المناصب والأموال عارية، ثم إن من عنده تاريخ يطيب مجلسه وتغزر فوائده وتتنوع علومه وكم من نكتة علم زجرت عن ردى ودلت على هدى! وكم من بيت شعر حرّك في القارىء شجوناً! لكن المخدر لا يحس والمبنج لا يعي: ما لجرح بميت إيلام.

من حقوق الرسول ﷺ

من حقوق الرسول ﷺ العمل بسنته ونشرها، والذب عنها، وكثرة الصلاة والسلام عليه مع عظيم حبه.

بين الخوف والرجاء

كتاب مدارج السالكين وإحياء علوم الدين وقوت القلوب خوف

قاتل ويخشى على من أدمن النظر فيها أن يصاب بيأس وقنوط، ويقابلها كتاب العواصم والقواصم لابن الوزير فقد فتح باب الرجاء على مصراعيه وأفرط في ذلك حتى أنه يخشى على من قرأه أن يستهين بالذنوب، والحق أنه لا هذا ولا هذا بل الوسط هو المطلوب ولا يكون هذا إلا في القرآن والسنة الصحيحة. فنصيحتي إدمان النظر والتدبر لكتاب الله وما صح عن رسول الله ﷺ.

كل المشارب غير النيل آسنة وكل أرض سوى الشهباء جرواء

وبعض الوعاظ لا يتكلم إلا في الموت وسوء الخاتمة والبكاء وأثر الذنوب والعقوبات ونحوه، والبعض الآخر لا يتحدث إلا في الرجاء والمكفرات وقبول التوبة وسعة المغفرة وعموم الرحمة، والأحسن أن يكون الواعظ فقيهاً حليماً لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم مكر الله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ فينبغي أن نقرن الخوف بالرجاء ونحسن ظننا بربنا ونسيء ظننا بأنفسنا، فيا من أراد أن يقرأ: طالع المصحف وما جمعه الإمامان البخاري ومسلم وعليك بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وأكثر من الاستغفار وقلل من علائق الدنيا فالموت منك قاب قوسين أو أدنى.

لكل مقام مقال

بعضنا إذا حدث العامة خرَّج الحديث من كافة مصادره وذكر شواهده والحكم على سنده وربما ساق السند بكامله وهذا من قلة الفقه، والبعض إذا درس العامة الفقه ذكر الأقوال وأدلة كل قول مع القواعد الأصولية وهذا هوج علمي، والبعض يترك الوعظ من الكتاب

والسنة ويحدثنا من أخبار الشوارع والأسواق وهذا كلام فارغ.

فيا من أراد تعليم العامة اليسر والتبسيط التبسيط واترك التكلف والتفيهق «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

إنّ ربك لبالمرصاد

ينبغي أن تكون ذنوبك نصب عينيك تستغفر منها دائماً وتخاف من عواقبها أبداً فإن الأمر خطير ورب ذنب فعلته ونسيته وهو في الطريق، ورب معصية صغيرة صدرت منك فاستهنت بها فصارت كبيرة، فاسترض ربك عله يرضى عنك واطفىء جمر الخطايا بدمع الندم وادفع بالحسنة السيئة وكرر الاستغفار واطلب الغفار أن يقيل العثرة ويمحو الزلة ويستر ما صار ويغفر ما حصل فإن استهنت بذنوبك ونسيت خطاياك ولم تجد ندماً ولا أسفاً ولا تحسراً ولا انكساراً فأحسن الله عزاءك في قلبك فقد مات وعوضك الله خيراً في إيمانك فقد فني، ولو كان فيك حياة لبكيت ولو كان فيك حياء من الله لرجفت وأنبت ولكن ما لجرح بميّت إيلام.

عبيد أنفسهم

رأينا رجلاً ممن انتسب إلى العلم لا يرى إلا نفسه يقطع المجلس بالحديث عما ألفّ وكتب ومن عرف ومن لقي وكلما ذُكر له عالم هوّن من شأنه وإذا مرّ باسم داعية حطّ من قدره وبيّن أغلاطه وذكر أخطاءه وإذا ذكرت له طالب علم تجاهله وصغّر شانه فما زاده هذا التصرف إلا مقتاً عند الناس وانصرافاً عنه فكان إذا حضر جمعاً قل من يسلّم عليه

أو يحيّيه أو يعانقه. والنفوس تنبو عنه والأبصار لا ترمقه والنقد والتجريح ينصبّ عليه من كل حدب وصوب جزاءً وفاقاً فيا عبد الله عامل الله واحم لسانك من أعراض إخوانك وطهر قلبك من الضغينة على عباد الله يصفو لك الجو.

متى تكون حكيماً ؟

لن تكون حكيماً حتى تعيش التجربة بنفسك، وتذوقها بآلامها ومصاعبها حينها تكون عارفاً بالأمور متمرساً بالأحداث، عنياً بالحكم، أمّا مع السلامة والعافية فسوف تكون عادياً كسائر الناس، والطريق الذي طوله ألف ميل يبدأ بخطوة.

مسائل

* يقول أبو معاذ الرازي الواعظ الشهير: في الأثر: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها. قال: يا عجبا ممن لا يدري محسناً إلا الله كيف لا يحبه، وهذا من أحسن الكلام، والمعنى: أنه ليس هناك محسن حقيقة ولا منعم أصلا إلا الله الواحد الأحد، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ فإن الله ينعم على العبد تفضلاً وكرماً وجوداً لا لمصلحة من العبد مرجوة ولا لرهبة منه وخوف، وفي الحديث الصحيح: «يا عبادي: إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً،

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً».

* **أقرب** الطرق إليه سبحانه العبودية له، يقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، ويقول في دعاء مأثور: «اللهم لك الحمد، وأنت المستعان وبك المستغاث، وإليك المشتكى، وعليك التكلان، ولا حول ولاقوة إلا بك». ومضمون هذا الدعاء عبودية ومسكنة وإذعان، وعن رسولنا ﷺ أنه كان يدعو ويقول: «اللهم إني أدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من ذلت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه»، وهذا هو عين الفقر والتذلل.

وأبعد الطرق إليه سبحانه التكبر والتجبر والاستغناء عنه، يقول سبحانه ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ وقال سبحانه: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ وقال سبحانه ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ فكلما تذللت له وأذعنت وتواضعت وخضعت وأنبت وافتقرت كلما رفعك وأعزك وأعلاك وأكرمك واجتباك وتولاك وحماك فسبحانه لا إله إلا هو.

* محبة الله عز وجل تتفاضل على حسب إيمان العبد وتصديقه وعبوديته فمن مقل ومستكثر، ولذلك أثبت ﷺ أصل المحبة لشارب الخمر لما جلدوه وسبه بعض الصحابة، فقال: «لا تسبوه، أو لا تلعنوه، فما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»، وقرأت عن بعض علماء المعتزلة مع ما عنده من مخالفة السنة ينشد:

وحبك لو أدخلتني النار قلـــت للذين بها قد كنت فيمن يحبه

وغاية المحبة هي محبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لربهم، وهي تقديم ما يرضيه وما يحبه على كل هوى للنفس، ومن ادعى محبة الله فعليه الدليل، لأن البينة على المدعي، ومن البينات اتباع رسوله ﷺ، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ومنها القيام بالفرائض والتزود بالنوافل عليها، «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» الحديث.

* منطق التذلل له سبحانه هو منطق عباده الصالحين، أحدهم يقول: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وبعضهم يقول: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾، وثالث يقول: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، وإبراهيم يقول: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾.

ومنطق التجبر والتكبر هو منطق أعدائه سبحانه، ففرعون يقول: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، وأحدهم يقول: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾، والثالث يقول: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾، وكان بعضهم يقول: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

فأبغض الكلمات ثلاث: أنا، وعندي، ولي.

لأن إبليس قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

وقارون قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

وفرعون قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾.

فاعرف أيها العبد نفسك تعرف ربك سبحانه.

* الله واحد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وتجد لفظ الواحد الأحد متميزاً في القرآن ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

وكذلك يرد نفي غير الإله الواحد سبحانه. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

فالتجرد والتفرد هو سر التوحيد، فلا شبيه له سبحانه ولا مثيل ولا شريك ولا ضد ولا ند، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، بل واحد أحد فرد صمد ولم يولد، فأسماؤه سبحانه لا تشبه الأسماء، وصفاته لا تشبه الصفات، وأفعاله لا تشبه الأفعال. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

* ومن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انكسار القلب وذلته وفقره وحاجته إلى مولاه وخالقه وربه، ولذلك يبتلي الله بعضهم بالذنوب لينكسر عجبها وكبرها وتزول أنفتها، ويسلس قيادها لمولاها، وهذه من الحكم العظيمة في الذنوب، وربما كان هذا سر كون التائب

يفرح الله بتوبته، فإن التائب محزون الفؤاد نادم منكسر أواه منيب، وفي الحديث الصحيح، «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم».

ولذلك اجتبى الله آدم وداود بعد الذنب، ورفع درجتيهما لما تابا، فكم من ذنب أدخل صاحبه الجنة، وكم من طاعة أدخلت صاحبها النار، كما قال بعض السلف، وهذا معناه أن صاحب الذنب تاب وندم وأقلع وانكسر قلبه لربه.

وفي مسند أحمد: (لا يقضي الله قضاء للعبد إلا كان خيراً له).

قال ابن تيمية شيخ الإسلام: حتى قضاء المعصية على العبد إذا ندم وتاب واستغفر وأناب كانت تلك المعصية في حقه خيراً، قلت: يدخل هذا في عموم قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وقوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وعند مسلم: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن».

نصيحة

لا تسرف في صرف المال واترك التبذير والبذخ، فما بقي أحد يعطي إلا ببيع الكرامة، وإراقة ماء الوجه، ومن اقتصد صلح حاله وكلها أيام، والموعد عند الله غداً.

الملاحـــدة

قرأت سير الملاحدة وأخبارهم وأشعارهم فإذا عذابهم الدنيوي قد نغص عليهم فهم في عثرات ونكبات ولم يردعهم هذا من الاستمرار على كفرهم وإعراضهم لأن قلوبهم ماتت ثم هم مع إلحادهم تعساء في حياة من الرعب والقلق والتمزق مواصلين التحدي والمكابرة والإصرار على باطلهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ وقد تركوا شرًّا مستطيراً على الأمة بما خلفوه من تراث وقانا الله شر ما قالوا وما كتبوا وحمى الله أجيالنا من رجسهم، فويل لهم مما كتبت أيديهم.

صبر على الإملاق وانتصار على الفقر

واسمع لثلاثية من الأدب الصادق، للعالم الرباني، جامعة المناقب، العبد الصالح المنيب، سفيان الثوري يقول وهو يقاوم الجوع في تحد وإصرار:

سيكفيـك عمـا أغلـق البـاب دونـه ... وضـن بـه الأقـوام ملـح وحـردق
وتشـرب مـن مـاء الفـرات وتغتـدي ... تعـارض أصحـاب الثـريـد الملبـق
تجشـى إذا مـا هـم تجشـوا كـأنمـا ... ظللـت بـأنـواع الخبيـص تفتـق

الأنـاقة

الأناقة هَي حسن المظهر وجمال المخبر ولطيف المعشر، وهي بسمة مقتصدة لا عبوس فيها ولا قهقهة، وهي اتزان في الحركة لا طيش

فيها ولا ثقل، وخفة روح لا تهتك معه ولا جفاف، الأناقة أن تحسن ملبسك فلا تخرج للناس مبعثر الهيئة منفوش الشعر شعث الرأس، طيب الرائحة كأن في جيبك زهرة، لين الكلام وكأن على لسانك تمرة، سليماً من الأحقاد كأن في قلبك جنة، واثقاً من نفسك كأن في نفسك دولة، الأناقة هي النظام في النفس والجسم والبيت والمكتب والسيارة وهي الترتيب حتى وضع الحذاء عند الدخول وفي وضع الصابون في الغسل وفي خلع الملابس عند النوم وفي المصافحة عند اللقاء، الأناقة مشي بسكينة وقول بوقار وجلوس بهدوء ونداء بلطف وعمل بحكمة ودعوة برشد، الأناقة أن لا تحمل قلباً غاشاً ولا تلبس ثوباً دنساً ولا تجالس غاوياً ولا تمازح جاهلاً ولا ترافق فاجراً، والأناقة حفظ الحدود وصيانة النفس والدفاع عن المبدأ والذب عن الحرمات وتعهد الأمانة وطهارة النفس من أوضار المعصية وأدناس المخالفة وأرجاس الفسوق: **كن جميلاً ترى الوجود جميلا**.

العلم النافع

ليس العلم بكثرة المعلومات عن الناس والزمان والمكان والأشياء فقد يكون عند الكافر من هذا ما ليس عند المسلم، ويظن بعضهم أنه إذا عرف دقائق السياسة وتفاصيل الاقتصاد وجزئيات التأريخ صار عالماً علماً نافعاً مباركاً وهذا وهم فإن من الملحدين من ألم بعلم السياسة ومهر في الاقتصاد وصار من أساطين التأريخ ومن رواد الفن وبعضهم يظن أن العلم بكثرة الكلام والإيراد والجدل

والقدرة على النقاش والتمكن من الحوار والصحيح أن العلم النافع هو ما نفعك في الدنيا والآخرة ليس في الدنيا فحسب لكن معها الآخرة وهي المقصود الأهم لأن من العلم ما نفع في الدنيا فحسب كالاختراعات التي قام بها مثل أدسون وأنشتاين ونيوتن وغيرهم لكن هؤلاء ليسوا مؤمنين إنما نفعهم هنا فحسب وأجرهم ما حصل لهم من مال وشهرة وحظوة، وتكريم من الناس فالعلم النافع المبارك يقود للفضيلة وينهى عن الرذيلة ويمنع النفس عن الغي ويحجزها من الهوى ويردها عن الردى ويحفظها من المهالك ويوصلها إلى الرضوان الأكبر والنعيم الأعظم والخلود الدائم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهذا في الكتاب والسنة وما والاهما وصار في فلكهما من كل علم وتخصص.

شيء بشيء

لا يصلح الوعظ إلا من تقي زاهد عفيف عامل صادق.

ولا تصلح الفتوى إلا من عالم ورع عاقل مع دليل.

ولا تصلح الخطابة إلا من فصيح مليح صاحب بديهة وغزير مادة.

ولا يصلح العفو إلا من قوي قادر، ولا السؤدد إلا من صابر على الشدائد مجرب للأمور.

ولا يصلح التأليف إلا إذا كان ذا جدة وعمق، مع ابتكار في الطريقة وإبداع في العرض وجمال في اللفظ.

ولا يصلح الزهد إلا من واجد وليس بفاقد، أطاعه قلبه في عصيان هواه ووافقته نفسه في محاربة شيطانه.

الكسل عدو النجاح

وصف الله أعداءه المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ وقال ﷺ: «وأعوذ بك من العجز والكسل» فلابد من النشاط في أخذ الأمور ومزاولة الحياة: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ والكسل مرض خطير إذا حلّ في شخص أقعده عن كل خير وحرمه كل نجاح ومنعه من كل فضل، والجعلان هذه الحشرة القذرة لما كسلت عن الطيران رضيت بتقليب كل نتن وأذى، وأكسل الحيوانات الخنزير، ولذلك لا يتعب في تحصيل رزقه وإنما يأكل العذرة وأمثالها وليس فيه غيرة وفيه دياثة ولذلك حرم أكله فمن أراد النجاح فعليه بالجد والاجتهاد وسهر الليالي في طلب المعالي ومسابقة الأيام ومغالبة الرجال:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

فصلاة تؤدى بكسل صلاة لا روح فيها ولا نفع.

وقراءة بكسل لا فائدة فيها.

وعمل بكسل لا نجاح فيه.

وليس السبب في رسوب أكثر الطلاب بلادتهم وقلة فهمهم بل كسلهم في المذاكرة وقد وجد أن أكثر من يرسب هم من متوسطي الذكاء لكنهم لم يجتهدوا في المذاكرة والمواظبة وكم من شخص عادي

فاق زملاءه من النابغين لأنه اجتهد وثابر وواظب وهم تكاسلوا وسوفوا حتى فاتتهم الفرصة وذهب عليهم النجاح، وسنة الحياة أن من جد واجتهد وتعب حصل وأفلح وفاز ومن زرع حصد ومن صبر ظفر، وقد اعترف كثير من النابغين والعباقرة في العالم أنهم لم يحصلوا على التفوق بذكائهم المفرط بل بمثابرتهم وجدهم وإلا فإنهم متوسطو الذكاء في الغالب وقد وجدنا من أصدقائنا وزملائنا من كان متوقد الذكاء ولكن لكسله وفتوره لم يحقق نتيجة تذكر بينما حصل غيرهم من متوسطي الذكاء على أفضل النتائج بسبب إصرارهم ومثابرتهم وجدهم ونشاطهم وهذا مثل السلحفاة والظبي فإن السلحفاة انطلقت في طريقها بجد واجتهاد واعتمدت على نفسها في قطع المسافة فسبقت الظبي وهو أسرع منها وقد انطلقا في وقت واحد لأن الظبي أخذ يتوقف ظنًّا منه أن سرعته وشدة عدوه سوف تضمن له الفوز ولكن فاته الزمن وغلبه الكسل والتسويف فسبقته السلحفاة.

لا تغلوا في دينكم

من أكثر مطالعة تراجم العلماء وقرأ سيرهم ومناقبهم أعجب بهم لأنه لا يرى إلا المحاسن ثم زاد إعجابه بهم إذا عرف أهل عصره ونقصهم ومثالبهم فتنمو عنده حاسة الإعجاب بهم إلى درجة الغلو خاصة إذا كان أهل التأريخ والسير لا يذكرون أخطاء أولئك العلماء فيظن هذا القارىء أنهم كانوا مبرئين من النقص سالمين من العيب والواجب أن تبقى منزلة العصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن

يعلم المطلع على سير العلماء أنهم بشر يخطئون ويصيبون وإن كتب بهم لحظ الجمال والجمال مجال مدح ولم يرد ذكر الزلات والهفوات فلا تغل فيهم، وترحم عليهم، واذكر محاسنهم ولا تلحقهم بالأنبياء، وكن عادلا في الحكم ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾.

لا تحتقر رأي أحد

لا تحتقر رأي أحد مهما كان، فإنني استفدت من أناس ليس عندهم علم كثير، ولا يشار إليهم بالبنان وليسوا في أماكن مرموقة ولكن عندهم من سداد الرأي ما يفوق كبار الناس ولله في خلقه أسرار.

خاطـــرة

مخالطة الناس في مجالسهم وأسواقهم تعمي القلب وتظلمه، وتكدر الخاطر وتكسب الإثم.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

سطعت على الصحراء فالروض أخضر ... وجئت إلى الدنيا وفجرك مزهر
جـزيـرتنـا فـي مقلتيـك وديعـة ... وهـذى رمـال الـزيـت مسـك وعنبـر
وأشـرقـت للبـدو الحفـاة فهللـوا ... وأنشـدت لـلأطفـال شعـرا فكبـروا
علـى مـوعـد وافيتنـا يـا إمـامنـا ... فكـل فـؤاد فـي معـاليـك منبـر
وألقيتنـا فـي خيمـة الحـب بعـدمـا ... رشفنـا معيـن الهجـر وهـو مفطـر
رسمـت على الـدنيـا مـن الحـب نخلـة ... وسحـر عسيـر فـي الأنـوف معطـر

مـع الملـة الغـراء طـاب رحيلنـا ... مع الوحي نسري أو مع الآي نسمر
كتبنـا بـأقـلام الـوفـاء وثيقـة ... وأنـت لهـا بيـن الخـلائـق دفتـر
فـإن كـان تيتـو منقـذاً فهـو ملحـد ... وإن كـان نهـرو بـارعـاً فهـو مـدبـر
وصـولات نـابليـون مـوت ولعنـة ... ولينيـن عـاتٍ فـي الضـلال وهتلـر
وأنـت حنيـف مسلـم ثـابـت الخطـا ... صـلاة تـؤدى أو كتـاب يفسـر
همـو صغـروا بـالظلـم والبطـش والخنـا ... وأنـت بحكـم الله تعلـو وتكبـر
فلـم تـك بعثيـا يحـارب ربـه ... ولا بلشفيـاً بـالـرسـالـة يكفـر
ولكـن بـك التـوحيـد سـل حسـامـه ... علـى بـركـات الله تـرسـو وتبحـر
ومـا حـزت ملكـاً بـانتخـاب وقـرعـة ... ولا فـرز أصـوات وحـزب يثـرثـر
ولكـن بسيـف كـالقضـاء مهنـد ... مـع مصحـف يجلـو الظـلام ويبهـر
فعفـواً لـك الله مـا جئـت مـادحـاً ... لمـالٍ يُـرجـى أو حطـام يكـدر
ولكننـي لعلعـت بـالشعـر منصفـاً ... بصـدق يكـاد الصخـر منـه يفجـر
ولـم أتكسـب بـالقـريـض فهمتـي ... أجـل مـن الجـوزاء والله يـأجـر
ولكـن خشينـا أن يقـال تكتمـوا ... علـى فضلـه منهـم نكيـر ومنكـر
إذا عظـم الأوغـاد أصنـام دهـرهـم ... وقالوا لنا في المجد كسرى وقيصر
فحجتنـا الكبـرى رسـول هـدايـة ... بـه العيـش يحلـو والخليقـة تفخـر
إذا لـم يكـن رمـز العـروبـة أحمـد ... فـإنـي بـألقـاب العـروبـة أكفـر
وإن لم يكن من زمزم الوحي مشربي ... ظمأت ولو سالت على الأرض أنهر
ولـو قلـت إن الفجـر ليـل لأنكـرت ... علـي مـلايـيـن مـن النـاس تبصـر
ثنـاء كـأن المسـك شـق قميصـه ... علينـا فـدنيـانـا بخـور ومجمـر
وشعـري مـن سحـر البيـان معتـق ... وشعـر كثيـر النـاس خمـر وميسـر

الأعلام يمدحون الكتب

أحمد بن حنبل شكى إليه رجل الوحشة، قال: عليك بالكتب، عبد الله بن المبارك يقول له أصحابه: لم لا تجلس معنا؟ قال: أنا أجلس مع الرسول ﷺ والصحابة، أنتم تغتابون الناس، وكان يجلس مع كتبه.

عبد الله العمري يقول: لا أنفع من كتاب..

المأمون يقول: لا أمتع من النزهة في عقول الرجال.

الجاحظ يقول: الكتاب نعم الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة.

يقول المتنبي:

أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

الجرجاني يقول:

ما تنعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا

عالم آخر يقول: ما حصلت العلم حتى جعلت الكتاب كالمرعى.

ادخلوا في السلم كافة

* المسلم يعتني بباطنه وظاهره، فينقي قلبه من الشرك والرياء والحسد، والغل والحقد والكبر والعجب ونحوها، وينظف ظاهره

من الأوساخ، فيقص شاربه، ويقلم أظافره، ويحافظ على خصال الفطرة، ويغسل ثوبه، ويداوم على أن يكون طيب الرائحة، ويحافظ على السواك ونحوها.

* رأيت من يحفظ متوناً في العلم وهو قد أُنسي القرآن، ورأيت من يقرأ في كل كتاب إلا في القرآن، ولله في خلقه شئون.
* اجمع بين ذكر اللسان وذكر القلب.
* تزول الجبال ولا تزول الطبائع.
* من شب على شيء شاب عليه.
* ترك المباحات ليس شرطاً في النجاة، لكنها لا تناسب المكانة العالية في الجنة.
* الانغماس في مخالطة الناس يضعف العبادة، واطلب العلم، واهتم بأعمال القلب.
* إذا كان أكل الطيب يزيد في العبادة فهذا مطلوب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾.
* كلم الناس بلغة عصرهم ومتطلبات واقعهم.
* تأن في التأليف وابدأ وأعد وحرر، فقد مكث أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الغريب أربعين سنة، ومكث أرنولد توينبي المؤرخ في كتابه دراسة التاريخ أربعين سنة.
* احذر أن يفقدك ربك حيث أمرك، أو أن يراك حيث نهاك.
* الذي لا يحفظ القرآن ولا يكتب الحديث فلا تثق بعلمه.

obeikandl.com

الشريعة مقاصد وأسرار

الشريعة كتاباً وسنة تلقي الكلام على السامع وثوقاً بفهمه لأن الخطاب عربي نزل بلغة العرب في تصاريف كلامهم، ويفهم السامع السوي صاحب اللغة سياق الكلام إذا كان عاماً أو خاصاً أو ظاهراً أو مطلقاً أو مقيداً أو فيه إضمار أو كناية، لأن العرب يتحدثون بهذه اللغة، ولا يحتاج المتكلم أن يفسر ما خفي في السياق، والسامع عارف بفهمه ماذا يريد من هذا الكلام، فلما دخل الداخل على اللغة، وكثر المخالط من غير أهل اللسان، وطال الزمن وبعدت فترة التنزيل، جاء أهل التأويل والتحريف والتبديل وتحميل الكلام ما لا يحتمل ودعوى المجاز والإضمار إلى غير ذلك من الأسماء التي لم تكن عند الصحابة الأخيار، فإنهم كانوا يسمعون الشريعة قرآناً وسنة فيفقهونها بلغتهم، ولم يقفوا محتاجين إلى خطاب آخر وبيان ثان، فمثلا سمعوا قوله سبحانه: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ فأجروه على ظاهره، وفهموا أن هذا الجدار على وشك السقوط، فبناه موسى عليه السلام، فلما جاء المتأخرون قالوا: الجدار جماد، وليس له إرادة، لأن الإرادة للحي فكيف يريد الجدار، فلابد أنه استعار الإرادة له، فكأنه حي، ثم استمروا في هذه المماحلة، والصحيح أن العرب تفهم هذا من خطابها، ولا تحتاج إلى بيان آخر في فهم لغتهم إذا أرادوا التعبير عن وشوك سقوط الجدار قالوا: يريد أن ينقض، وكذلك سمع الصحابة قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ ففهموا هذا الكلام

على ظاهره، وأن القرية تسأل، لأن كل عمار مسكون فهي قرية، فلما جاء المتأخرون قالوا: في الكلام إضمار، تقديره واسأل أهل القرية، فكأنه عندهم حذف كلاماً وأبقى كلاماً، وإلا فاللغة العربية الصحيحة تنطق بهذا، ويفهم السامع صاحب اللسان المراد دون حذف ولا إضمار ولا تأويل.

وكذلك سمع الصحابة قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ فأجروه على ظاهره دون زيادة ولا نقص وفهموا المراد، لأن هذه لغتهم، والقرآن نزل بها، فهم يقولون مثلا: اخفض جناحك لفلان، يعني ارحمه وتواضع له، فلما جاء المتأخرون قالوا: في الكلام تشبيه واستعارة، لأن الجناح لا يكون إلا للطائر وهذا خطأ منهم، لن اللغة العربية هكذا يتكلم أهلها دون نكير.

مضرب الأمثال

في العدل عمر، في الكرم حاتم، في الحلم الأحنف، في الزهد إبراهيم بن أدهم، في الوعظ ابن الجوزي، في الشجاعة عنترة، في الحمق هبنقة، في العيّ باقل، في الذكاء إياس، في الخطابة سحبان وائل، في الشعر المتنبىء، في الفقه أبو حنيفة، في الأدب الجاحظ، في الترسل القاضي الفاضل، في الطب جالينوس، في المقامات الحريري، في الجمال يوسف، في الصبر أيوب، في الملك سليمان، في الوفاء السموأل، في الصدق أبو ذر، في الظلم الحجاج، في الكذب مسيلمة، في النفاق عبد الله بن أُبي، في الإقدام عمرو بن

معدي كرب، في الخط ابن مقلة، في الغناء معبد، في التاريخ ابن خلدون، في التصوف الجنيد، في الحكمة لقمان، في علم الرجال يحيى بن معين، في الحديث البخاري.

أفضل الخلفاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعدلهم عمر رضي الله عنه وأقرأهم أُبي بن كعب رضي الله عنه وأقضاهم علي رضي الله عنه.

وأحلم خلفاء بني أمية معاوية، وأدهاهم عبد الملك، وأصلحهم عمر بن عبد العزيز، وأسوأهم الوليد بن يزيد، وأدهى بني العباس المنصور، وأسعدهم بالملك هارون الرشيد، وأعلمهم المأمون، وأشجعهم المعتضد، وأبطشهم السفاح، وأكثرهم حفظاً للشعر الواثق، وأشعرهم ابن المعتز، وأكثرهم تهوراً الواثق، وأكثرهم اطلاعاً على أخبار الرعية الناصر.

دراسة التأريخ

التأريخ لمن طالعه بتدبر ثروة من العظات، وكنز من التجارب، وحشد هائل من العجائب، ويرى غوستاف لوبون أن التأريخ عرض بسيط للنتائج الصادرة عن مزاج الأمم. ويرى ابن خلدون أنه سجل لإبداعات البشر وسقوطهم.

أما ابن مكسويه فيرى أنه كتاب لتجارب الأمم.

والصحيح أن التأريخ حسب قارئه، فإن قرأ للمتعة والتسلية فهو

حكايات ومغامرات وقصص رائعة، وإن قرأه بإمعان لأخذ العبرة وطلب العظة والغوص على الحقيقة وكشف السنة الربانية، فهو جامعة كبرى يتعلم فيها الإنسان الحكمة، ويستخلص منها النصيحة، ويتعلم فيها الخبرة، ويعود منها بنظر دقيق، ورأي عميق وبصر نافذ ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وفي التأريخ أمان للنفس المصابة عند قراءة أخبار المصابين، وسلوة للقلب المفجوع عند سماع أنباء المفجوعين ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

وفي التأريخ الاعتبار بمصارع الغابرين وأخذ الحيطة من خطأ المخطئين، مصائب قوم عند قوم فوائد.

وفي التأريخ مسرح للروح في ساحة الدنيا، وجولة للفكر في فضاء الدهر ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

والتأريخ مطرقة إنذار للأمم، وصيحة بعث للأجيال، وسوط تأديب للشعوب، والتأريخ لسان ناطق بالثناء والهجاء لمن عبره من عالم وسلطان، وقائد وثوري، ومؤلف ووزير، وخطيب وشاعر ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾.

والتأريخ لا يقرأ لتحفظ جمله، وإنما يطالع لتدبر عظاته وعبره، وليعلم سنة الله في الأمم، وكيف نصر أولياءه ومحق أعداءه، وأكرم رسله، وأهان محاربيه ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾.

وفي القرآن أصول التأريخ، فإنه يورد الزبد من القصص والعبر والوقائع والمحصلة من المثلات، والخلاصة من الأحداث في قانون ثابت، وسنة مطردة لن تجد لها تحويلاً ولا تبديلاً، وفق توجيه إلهي حكيم، فسبحان المدبر ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾.

وللحاسد فضل عليك

قال أبو الحسن التهامي:

ما اغتابني حاسد إلا شرفت به ... فحاسدي منعم في زي منتقم
فالله يكلؤ حسادي فأنعمهم ... عندي وإن وقعت من غير قصدهم
ينبهون على فضلي إذا كتبت ... صحيفتي في المعالي عنونت بهم

لا تأسف لأنك محسود بل احمد الله لأنك لست حاسدا، فكونك محسوداً دليل على علو شأنك وارتفاع محلك وسمو قدرك وهو برهان على نعم الله عليك المتتابعة، واعلم أن الحاسد دعاية مجانية لك وإعلان مستمر بفضلك وهو طريق قصير لشهرتك، ثم إنه يسوق حسناته إليك طوعاً ويحمل من سيئاتك، وإذا رأيت الرجل قد كثر حساده فاعلم أنه عظيم يستحق الانتباه وإذا رأيت الرجل غير محسود فاعلم أنه تافه بسيط لم يرشح للمقامات العالية.

الرضا

الرضا بالله ربًّا يلزمك أن ترضى بأحكامه الشرعية، فترضى بأوامره ممتثلا، وترضى بنواهيه مجتنبا، وترضى عنه سبحانه إذ عافاك

وشافاك، ومن كل بلاء حسن أبلاك، وترضى عنه إذا أمرضك وأسقمك، وترضى عنه إذا أجلسك على صهوة المجد وذروة المنصب فتشكره ولا تكفره، وترضى عنه إذا وضعك في السجن وحيداً فريداً، وترضى عنه إذا أغناك وحباك، وترضى عنه إذا أفقرك وأعدمك، لأنه سبحانه يحب أن يرضى عنه، فهو حكيم لا يُشكُّ في حسن وصلاح قضائه، وهو مدبر لا يُتَّهم في جميل تدبيره، وهو يختار الأجمل والأكمل والأفضل لعبده، فلا يُعارض اختياره بكره، ولا يُصادم تقديره برفض، ولا يُجابه فعله برد.

والرضا باب اليقين الأكبر، وبستان العبودية الأخضر وهو مستنزل الرحمة، ومستدر الزيادة، ومستوجب الرضا منه، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ والرضا مطردة للهموم والغموم، مذهبة للأحزان، وهو علاج التردد والحيرة والاضطراب، لأنه التسليم بالحكمة، والتصديق بالشرع، والركون إلى اللطف والاطمئنان لحسن الاختيار، من دخل بيت الرضا فهو آمن، ومن استقبل كعبته فهو مخبت، ومن صلى في محراب الرضا فهو حليم أواه منيب.

ملاحظات على كتاب (إحياء علوم الدين للغزالي)

أنصح البادىء في طلب العلم أن لا يغتر بكتاب إحياء علوم الدين، لأن فيه مزلة من كلام الصوفية وشيء من الزهد المظلم، مثل مدح السهر والإفراط في الجوع وإجهاد النفس بالعبادة، وإيراد الأحاديث الموضوعة، وتأويل الصفات، والثناء على بعض حماقات

الصوفية التي تخالف النصوص، وفي كتب السنة غنية عن هذا الكتاب مثل كتاب: الترغيب والترهيب للمنذري، ورياض الصالحين للنووي.

خواطر ونصائح وتوجيهات

* الزم الباب الذي فتح عليك فيه الرزق والعلم كالتجارة أو الوعظ أو غير ذلك، فهذا نصيبك وفيه نفعك وانتفاعك.
* من الكتب التي تموت سريعا الكتب الفكرية الإنشائية، التي ليس فيها نص ولا نقل ولا تأصيل ولا تحليل.
* الذيوع والقبول حظ من الله، وله أسباب، منها: التفرد في الطريقة والتجديد، ومخاطبة العامة، والدخول إلى مكامن النفوس، سواء بالكلام أو التأليف أو الشعر.
* أوصيك بقراءة سير الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين فإنها ترقق القلب.
* بعض الدول عاشت أربعمائة عام لم نسمع بها، وقروناً بين ذلك كثيراً، خلفاء بني العباس سبع وثلاثون خليفة، لا تجد الآن من ميراثهم درهماً واحداً.
* كلما قلت الأشياء والممتلكات كان أبعد عن التعقيد والمشقة والتعب، ولذلك كانت حياة الأجداد سهلة مريحة.
* كثرة الظواهر المساعدة والمساندة قللت البركة، فالمصاحف بالآلاف بأجود الطبعات، والكتب والدوريات والأشرطة والمجلات، ولكن لا ترى ذاك النفع الواصل المؤثر في الناس.

obeikandl.com

* أعوذ بالله من صرف العمر في الفضول، فهذا الكتاب مجلدات في قبيلة واحدة عن أصولها وفروعها، وذاك يؤلف عن منطقة من المناطق سهولها وجبالها وأشجارها.
* الهمة توقد داخلي فائر، وبركان باطني ثائر، وإصرار على الصمود والتحدي والاستمرار والعطاء.
* الكتب الكلامية والفلسفية تتعب الذهن بلا فائدة.
* أنفع شرح للقرآن والسنة تقريب المعنى في سهولة لفظ مع ذكر المقصود والفائدة والرأي الراجح عند الخلاف فقط.
* عجبت لأناس في التاريخ سفكوا الدماء، وأخذوا الأموال، وظلموا الناس من أجل الملك، ثم لم يمتعوا طويلا، مثل عبد الملك بن مروان وأبي جعفر المنصور، وأبي مسلم الخرساني، وغيرهم.
* سمعت نوح بعض الشعراء على المعالي وتلهفهم عليها، وإذا هي الإمارة والمنصب، فياله من سعي ضائع، وهمة ساقطة.
* كان الصحابة يفهمون القرآن على ظاهره، لم يكونوا يذهبون بعيداً في معانيه إلى احتمالات بعيدة عويصة كما فعل الخلف، لأن الصحابة أخذوا القرآن كتاب هداية وعمل.
* أعظم الناس منزلة العلماء والعباد، والناس سواهم همج لأنهم عرفوا معنى الحياة.
* الغنائم لا تأتي إلا بعد قتال، ومن أراد معالي الأمور بلا معاناة وتعب فقد طلب المستحيل.
* ينبغي أن نكره أنفسنا على الخير، لقلة المساعد، وكثرة الشهوات

واضمحلال الخير، وبعد عصر النبوة.

* آفة العقل الهوى.

* أحرص من النملة، وأصبر من الحمار، وأحقد من الجمل، وأمكر من الثعلب، وأحمق من الحمامة.

* فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي مهم لطالب العلم.

* قل عدد القراء والمطالعين بسبب ظروف الحياة وكثرة الوسائل والمشاغل وسوف يقل الاهتمام بالكتاب تدريجيًا مع عصر المرئيات والمسموعات.

* كثر التأليف، حتى أصبح فوق ما يتصور، والمطلوب من العالم رد الناس إلى الأصول إلى الكتاب والسنة وصفوة الكتب.

* اجعل في ذهنك وأنت تقرأ أي كتاب هدفاً أو فائدة تخرج بها من قراءتك.

* قد يصل العالم إلى سن لا يستطيع أن يزيد في فهمه ولا في علمه، وهو وصول النمو الطبيعي لإدراكه.

* إذا عرفت مقاصد الكلام فاقرأ القرآن بنفسك مباشرة، وتدرب على الفقه فيه بلا واسطة، لأنه عربي مبين.

* من حفظ الحديث قويت حجته، ومن تعلم الفقه شرف، ومن تعلم الأدب رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

* أعرض عن شعرالمدح والهجاء والغزل والوصف، فلا خير فيها.

* احرص على خصال الرجولة في اللباس، والمشي، والجلوس، والكلام، ونحوها ومن أكثر من شيء عرف به.

obeikandl.com

* كم من ولي في قباء، وكم من زنديق في عباء.
* الناس يقيسون الأمور بأشباهها.
* ما أطول الليل على من لم ينم.

طريق تعلم الكتاب والسنة

القرآن والسنة لا تتعلم عن طريق السرد كما يفعل المتأخرون، وإنما عن طريق التدرج والأخذ رويداً رويداً مع الأيام، وفهم ما حفظ، والتفقه فيه، والعمل به، وتعليمه، وبذلك رسخ العلم لدى السلف ونفعهم، فتجد الصحابي في حياته كلها يحفظ مثلا ألف حديث لكنه هضمها ومزجها بلحمه ودمه، وصارت سر سعادته في الحياة.

أما نحن فنحفظ هذا العدد في أشهر، فيبقى على طرف اللسان بلا أثر في الغالب، وهذا الفرق بيننا وبين القوم في طلب العلم.

مجرد كلام

يقول الله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ يعني أذى الكلام، وليس فيه ضرر عليكم فلا تخف من الأقوال الخبيثة التي تقال فيك ظلماً وعدواناً، فإنها تضر قائلها ولا تضرك.

يقول حاتم الطائي:

وكلمة حاسد من غير جرم سمعت فقلت مري فانفذيني
وعابوها علي ولم تعبني ولم يند لها أبداً جبيني

ويقول الشاعر الإنجليزي:

تستطيع الحجارة أن تكسر عظامي، ولكن كلام أهل الدنيا كلهم لا يهز مني شعرة واحدة.

أحمد مطر

أعارني أحدهم ديوان الشاعر أحمد مطر فقرأت قصائده وأمعنت النظر في بعضها فإذا غالبها شكوى من الظلم بأسلوب ساخر لاذع وإذا هي تفريغ للعواطف وترويح لأومات القلب، والناس يعجبهم هذا لأنه شاركهم همهم وعبر عن قضيتهم، ولكن ليس المقصود ترجمة الأفعال إلى كلام إنما الصحيح تحويل الكلام إلى أفعال من تربية صحيحة ومعتقد حق وإيمان صادق وعطاء وبناء، ولا يستقيم الشعر حتى يكون له رسالة وهدف محدد مع إيمان صاحبه بربه واحترامه لدينه وتوقيره لمبادئه، أما السب والشتم فكل يحسنه وما سمعنا بظالم سقط بقصيدة سخرية ولا مصنع أنتج بملحمة أدبية ولا جامعة أنشأت بقصة خيالية إنما الأدب كما قال بعضهم: حمل الميثاق وطاعة الرب ونصيحة الأمة وترك السفاسف وطلب الكمال، واعلم أن الحجاج بن يوسف هجي بعشرات القصائد فما حركت منه شعرة واحدة ومات ميتة طبيعية على الفراش وقد سب الحاكم بأمر الله الفاطمي من معاصريه بمئات القصائد فما ورى عنها. فالكلام ترويح للمهموم وشكوى للمغموم ولكنه في الأخير كلام، والسلام.